

أضواء البيان

@ 163 @ .

تنبيه .

اعلم أن ما قاله ابن جرير وغير واحد من أن القول بأن إن نافية يلزمه إيهام المحذور الذي لا يجوز في حق الله . .

قالوا : لأنه إن كان المعنى ما كان الله ولد فإنه لا يدل على نفي الولد ، إلا في الماضي ، فللكفار أن يقولوا إذا صدقت لم يكن له في الماضي ولد . ولكن الولد طراً عليه ، بعد ذلك لما صاهر الجن ، وولدت له بناته التي هي الملائكة . .

وإن هذا المحذور يمنع من الحمل على النفي لا شك في عدم صحته لدلالة الآيات القرآنية بكثرة على أن هذا الإيهام لا أثر له ولو كان له أثر لما كان الله يمدح نفسه بالثناء عليه بلفظة كان الدالة على خصوص الزمن الماضي في نحو قوله تعالى { وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا } ، { وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا } ، { وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا } ، { وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا } ، { إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا } كدبراً إلى غير ذلك من الآيات التي يصعب حصرها . . فإن معنى كل تلك الآيات أنه كان ولم يزل . .

فلو كان الكفار يقولون ذلك الذي زعموه الذي هو قولهم : صدقت ما كان له ولد في الماضي ولكنه طراً له لقالوا مثله في الآيات التي ذكرنا . . كأن يقولوا { كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا } في الماضي ولكنه طراً عليه عدم ذلك وهكذا في جميع الآيات المذكورة ونحوها . .

وأيضاً فإن المحذور الذي زعموه لم يمنع من إطلاق نفي الكون الماضي في قوله تعالى { وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا } ، وقوله { وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَصُودًا } وقوله { وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ } ، والآيات بمثل ذلك كثيرة . .

ومن أوضحها في محل النزاع قوله تعالى { وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ } . . ولم يمنع من نفي القرآن للولد في الزمن الماضي في قوله تعالى { مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ